أيام الصبا

سقى الله أيام الصبا من دمي القاني ... نبيذا عتيقا في الهوى مثل إدماني
ولا زال دمع العيد يهمي لذكرها ... ولا زال ذكراها ينادم أشجاني
ويزجي طيوف السهد تلهو بمضجعي ... وتسبي لذيذ النوم من بين أجفاني
وكان الصبا حلما جميلا ملونا ... بمليون لون ولآلئ ومرجان
وبعد الصبا لا حلم سعد يشدني ... إلى النوم يأتي بالمنى قلب هيمان
وعند الصبا في كل حلم يزورني ... ملاك وتهواني به بنت سلطان
فأغدوا مليكا وهي تغدو مليكتي ... مليك الزمان الفرد ما بعده ثاني
وعند الضحى شمس النهار حبيبتي ... تهاجر من دنيا الحكايا لتلقاني
إذا ما أتى نيسان خفت جمالها ... فأخفيت نفسي بين أزهار نيسان
أحاذر ثوبي أن يراه خيالها ... فتفلت روحي من ضلوعي وأسناني
وكنت أناجي في النهار نجومها ... وليلا ينام البدر ما بين أحضاني
وكنت أراني إذ أسير تحف بي ... عصافير تشدو والأماني ركباني
فلا ريب أني في الملوك مليكها ... ولا ريب أن الجن جندي وغلماني
إذا ما أراد الناس جرح مشاعري ... تضرعت ربي أغفر لهم ما دروا شأني
وكانت كطوفان تفيض خواطري ... بأشياء لم تخطر على بال شيطان
تحط كشلال فؤادي مصبه ... وتجري كخيل السبق في وسط ميدان
لقد كانت الأحلام تجري فنقتفي ... خطاها وراء الأفق في كون أكوان
فنقطع سبعا من جبال وأبحر ... عظام ولا نلقي لها طيف شطآن
نفتش عن سر الخلود وقد باءت ... مساعي جلجام فعاد بخذلان
ونبصر في حزن الغروب ممالكا ... تناجي هوانا فوق مجد سليمان
وكم في الصبا يسمو الخيال فقد نرى ... نجوما تبدلت كالجن بين أغصان
فإن شئت فاقطف ما اشتهيت ألذها ... الذي بين حلو حامض بين لفان
لقد فاضت الأفراح دون مقابل ... نؤديه والفردوس مثل الجنى الداني
ودنيا الورى كانت ترى كالعروس في ... ثياب الزفاف البيض أعراس ألوان
رجال شروا الدنيا شقاء بشقوة ... ونحن شريناها جنانا بمجان
وما ذاك إلا حكمة من حكيميها ... عن الشيخ أخفاها وأبدى الصبيان
فهم شابهوا حواء جذلى وآدما ... بجنات عدن قبل أثم وعصيان
ولو أن بالمال السعادة تشتري ... لما لاح يوما نجم سعد لبلدان
مضت تلكم الأيام عجلى كبارق ... إذا شامه من حن يبكي بتحنان

كـــــأن شـــــوقا إليـــــه يهيجـــــه ... فيبكـــي كمـــا أبكـــاه قـــبلا بهجـــران
أفقـت كمـا مـن نـوم كهـف فلـم أجـد ... سـوى مـدمعي قـد بـل ثـوبي وأرادنـي
ومضـت تلكـم الأيـام والقلـب دامـع ... يـروى ظمـا الـذكرى ولـيس بريـان
تظـل علـى مـر الزمـان مـوائلا ... لعينـي مثـول الحـب فـي عـين ولهـان
لبانـات قلبـي فـي هواهـا تحشـدت ... تغيـر علـى قلبـي بـألوان ألبـان
وغـاب الصـبا كالشـمس عنـد غروبهـا ... فـأبكى فـؤاد الصـب أنهـار ألـوان
تـولى سـريعا دون علمـي كسـارق ... فمـا انـذرتني بـالنوى سـود غربـان
وقفـت علـى ذكـراه وقفـت شـاعرا ... قـديم علـى الأطـلال يبكـي لخـلان
يتـرق القـوافي حـب قلـب مقيـد ... فتطـوى الفضـا والقلـب فـي قيـده عـان
قفـا نبـك فـي نجـد حبيبـا مـزاره ... تنـاءى إلـى مـا بعـد أقصـى خراسـان
رمتـه النـوى فـي حضـرموت فلـن تـرى ... لـه بعـد ذا عـودا مـدى عمـرك الفـاني
وغالتـه اجنـاد الليـالي التـي لهـا ... تلـوى ثعـابين وارضـاء سـرحان
ألا ليـت أفـواه الجحـيم تـرق لـي ... فتشـرب مـن سـيفي دم المجـرم الجـاني
سـأبكي علـى البحـر الطويـل صـبي جنـى ... عليـه بـلا ذنـب جنـي معشـر الجـان
وأنظـم شـعري كلـه فـي رثائـه ... فـإن جميـل الشـعر مـا كـان وجـداني
وأجـرى إلـى البحـر الظويـل مـدامعي ... كنهـر طويـل دافـق مثـل أحزانـي
فـرزى صـباي الغـض خطـب مـروع ... تخـر لـه شـم الجبـال كسـكران
وتبكـي دمـا صـم الصـخور مـن الجـوى ... ويقـل إعصـار الشـتى كـالهوا الـواني
فهـذى الـذي كانـت نعيمـا فأصـبحت ... جحيمـا بـلا نـار ويصـلي بنيـران
وعنـد الصـبا كانـت كقلبـي كبيـرة ... وبعـد الصـبا شـاهدتها فـرخ ثعبـان
حيـاة الصـبا اثنـان : السـعادة والهنـا ... وأمـا حيـاة العـالمين هلاكـان
فـإن لـم تـوافقني سـريعا فـدلني ... علـى بقعـة فـي الأرض ليسـت ببركـان
لقـد أبطـل النـاس الحقيقـة والهـوى ... تعـالى علـى الحـق الصـراح بـبطلان
شـعوب تعـاني مـر مـوت وزمـرة ... تعـب المـا خمـرا لهـا شـكل إنسـان
تربعـت البغضـاء بـين صـدورهم ... فمـا مـن شـفا يرجـى سـوى ربـك الحـاني
ألا يـا زمـان الكـره والقتـل مرحبـا ... فـنحن وإن كنـا عـدى نحـن جـاران
وخضـمان لا أنـت فـي ولا أنـا ... لـك الـدين مـا يهـدى ولـي ديـن أوثـان
لـك الأرض كنـزا مـن نضـار وفضـة ... وأرض الهوى مهدى فؤادي وأوطاني
فصـبرا علـى المكـروه صـبر مكـافئ ... فلله أمـر لا يـرد بقربـان
وكـل الـذي يـأتي مـن الله خيـر ... وكـل الـذي يقضـى بـه فضـل انسـان

فحســبي إلهـــي وهـــو عـــوني يعيننـــي على كــل أحــوال وفــي كــل أحيــان
يعوضـــني الـــرب الكـــريم بمـــا مضـــى مزيـــدا مـــن الإيمـــان يســـمو بإيمـــاني
فيـــا رب ارحمنـــي فـــإني مســـلم إليـــك الصـــبا باســـم الـــرحيم الـــرحمن